حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

دائـــرة الشـــؤون الإســـلامية والعمـــل الخيـــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department

جناح اللؤلؤ

(كلمات في مكانة الأم)

بقلم
د. عبد الحكيم الأنيس
إدارة البحوث

www.iacad.gov.ae
04 6087777 الريادة في العمل الإسلامي والخيري
Fatwa 800 3336 فتـــوى

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

حقوق الطبع محفوظة

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
mail@iacad.gov.ae www.iacad.gov.ae

الحمـد لله، وصلـى الله وسلَّم علـى رسول الله، وعلـى آله وصحبه ومَنْ والاه. وبعد:

أجملُ حديثٍ في الدنيا هو الحديثُ عن **الأُمِّ**.

وما أظنُّ أحداً يعارِض في هذا أبداً.

فـالأُم زينـة الحياة، وسلوة الهموم، ومَفـزَع الإنسان كلما نالتْ منه الآلام، واعترضتْ طريقَه المتاعب.

لا يُمكـن للرجـلِ أَنْ يبكـي على صـدر زوجتـه، ولا أَنْ يظهر ضعفَه أمامها، ولكنّه لا يتحرج أنْ يرمي برأسه على صدر **أُمِّه**، ويبكي ويبثَّها همَّـه، ويُخـرج ما في قلبه من شجن حارٍّ، وهمٍّ مقيـم، مهما كان عمرُه، ومهما كانتْ منزلته.

ويمرضُ الإنسـانُ، وقـد يطولُ مرضُـه، فيملُّه أقـربُ الناس إليه، مِـن زوجة وولد، إلا **الأم** التي حملتْه فـي أحشائها تسعة أشهر، فإنها تحمُل همَّه مدى الحياة.

عشتُ مغترباً بعيداً عن بلدي أكثرَ العمر، وكنتُ ألتقي بأمِّي في بلاد مختلفة، وسنوات متباعدة، ولا أنسى أبداً أنّني ودعتُها مرة في أحد المطارات وسرتُ لأستقل سيارة إلى البلد الذي أقيم فيه، ولم أكن أدري أنها نسيتْ نفسها فتبعتني - وأنا لا ألتفتُ حتى لا أرى دموعها - ومشتْ حتى تاهتْ وضيعتْ مكانَ انطلاقها.

الأمُّ هي القلب الذي لا يَنبِض بغير الحب، وهي الوفية التي لا تُغيِّرها الأيام، وهي الصديقُ الذي لا يُمكن أنْ يغدر مطلقاً.

جرِّب أنْ تتصل بأمِّك، وتَشْعُرُ في صوتك أثرَ ضعفٍ أو مرضٍ وانظر كيف يكون قلقُها عليك، وانشغالُها بك.

أخبرْها أنّك في ضيقٍ نفسي أو مادي، حسي أو معنوي، وانظرْ كيف تضعُ أمامَك كل ما تملك من الدنيا.

الأمُّ معجزة ربانية تدلنا على عظمة الخالق الذي أوجدَ هذا الكائن، الذي لا يشبهه شيء أبداً.

ويُحدِّثنـا التاريـخُ أنَّ رجلاً فـي بغداد ضاقتْ بـه الدنيا، ونال منه الفقرُ، وأمضَّه الجـوعُ فخرج يمشي هائماً على وجهه، وإذا بامرأة من الجيـران تناديه وتسألُه: ما بالـكَ مغموماً؟ فأخبرها بحاله، فقالت لـه: إنَّ أمَّـك أودعتْ عندي قبـل موتها ثلاث مئة درهـم، وقالت: إذا رأيتِ ولدي في شدة فادفعيها إليه.

يـا الله! تحمـلُ هـمَّ ولدِهـا حتـى بعـد موتهـا... وتُسعفُـهُ وهـي في برزخها.

نعـم إنّهـا الأم: الحبُّ والحنانُ والوفـاءُ والإيثارُ والصـدقُ والنبلُ والجمالُ والخيرُ والعطاءُ والرجاءُ والغيثُ.

إنّهـا السمـاءُ الزاخـرة بالأمـل الممـدود، والأزهـارُ الفيّاضـة بالعطر الأخّاذ.

وحديثُ الأم في الإسلام صفحة مشرقة، فقد جَعَلَ لها رسولُ الله ﷺ ثلاثةَ أرباع البِرِّ، وأخبر أنَّ الجنة عند رجليها:

جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردتُ أن أغزو وقد جئتُ أستشيرك، فقال: هل لك مِنْ أُمٍّ؟ قال: نعم، قال: فالزمها فإنَّ الجنةَ عند رجليها.

وحين نقرأ القرآن نجدُ للأُمِّ من التكريم والتعظيم ورفعة الشأن ما يثير العجَبَ، ويبعث على الإعجاب.

انظروا إلى قول الله مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾. وتأملوا في هذا التعبير... إنَّ قرةَ عينِ الأمِّ وعدمَ حزنها إرادةٌ ربانيةٌ عظمى.

ومِن الجميل جداً إذا قرأنا القرآنَ أنْ نتوقف عند الأمهات لنرى بأنفسنا كيف تحدَّث الخالقُ عنهن، وكيف قرَنَ رضاه برضاهن.

ويحدِّثنا الصحابيُّ الجليل معاذ بن جبل أنّ الله كلّم موسى ثلاثة آلاف وخمس مئة كلمة، فكان آخر كلامه: يارب أوصني. قال: أوصيك بأمك. حتى قال له سبع مرات، ثم قال: يا موسى ألا إنَّ رضاها رضاي، وسخطها سخطي.

وأدركَ أصحابُ النبي ﷺ هذه المنزلة فكانوا في البر رموزاً تتلألأ في سماء العرفان.

قال رجلٌ لعمر بن الخطاب: إنَّ لي أُمّاً بلغ بها الكِبَرُ أنها لا تقضي حاجتها إلا وأنا أحملها على ظهري، فهل أديتُ حقَّها؟

قال: لا، إنها كانت تصنعُ بك ذلك وهي تتمنى بقاءَك، وأنت تصنعه بها، وتتمنى فراقها!

وكان أعرابيٌّ يطوف بالكعبة وهو يقول:

أحمِلُ أمِّي وهي الحمّالة تُرضعني الدَّرة والعُلالة

فقال عمرُ: لَأَنْ أكونَ أدركتُ أمِّي فصنعتُ بها ما تصنعُ بأمِّك لكان أحبَّ إليَّ من حُمْر النَّعم.. أحب إلي من النوق الحمر – وهي أعز مال عند العرب –...

وحدَّثني مَنْ حجَّ في الموسم الأخير أنَّ الحجيجَ رأوا رجلاً يحملُ أمَّه على كتفيه ويطوفُ بها فاغرورقت العيونُ بالدموع تأثراً بهذا المشهد الإنساني النبيل...

أيتها الأمُّ يا مُربية الرجال، وصانعة الأبطال.

أيتها **الأمُّ** يا مضربَ الأمثال، ومفزَع الأجيال.

أيتها **الأمُّ** يا أُنس الجمـال، ونظـرة الجـلال.

أيتها **الأمُّ** يا جناحاً ملائكياً ينثر اللؤلؤ في كل رفة من رفّاته.

عيشي مُكللة بأكاليل الغار.

وفسَحَ اللّهُ في حياتك، لأنَّ رحيلك أشدُّ مصيبة تنزل على القلوب.

هـذا أبو العـلاء المعريّ يقول عن **أُمِّه**: « لا آمـلُ بَعْدَها خيراً، ولا أَزيـدُ في المِحَـنِ إلا إيضاعاً وسيراً... وحُزني على فَقْدها كنعيم أهل الجنّة، كلما نفِد جُدِّد ».

وهـذا الأستـاذ بديـع الزمـان النورسي يقـول: « إنّ نصـف دنياي الخاصة قد انهدَّ بوفاة **أُمّي** ».

وهـذا أحمد أميـن يقولُ عن **أُمِّـه**: « فقدتُها وأنا كبيـرٌ ولي زوجة وأولاد، ومع هذا أحسستُ بفقدها فراغاً لم يملأه شيء ».

وهذا الشاعر عبد الهادي حرب يقول:

ما عشتُ بعدَكِ إنما أنا ميِّتٌ أبكيكِ يا أمّاه حتى نلتقي...

❁ ❁ ❁